جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مصادر الصورة في شعر عيسى جرابا
(دراسة تحليلية)

إعداد

الباحثة: حمدة حسين سعيد الزهراني
قسم اللغة العربية - كلية العلوم والآداب - جامعة الباحة

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م
الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملخص البحث

مصادر الصورة في شعر عيسى جرابا (دراسة تحليلية)

هذا البحث عن مصادر الصورة عند شاعر من شعراء المملكة العربية السعودية ، ولد في قرية الخضراء الشمالية، التابعة لمحافظة ضمد من منطقة جازان جنوب المملكة ، بدأت موهبته الشعرية بالظهور منذ عام ١٤٠٩هـ .

كما تعد الصورة إحدى الوسائل التي يُحاول من خلالها الشاعر نقل فكرته ورؤيته وعواطفه إلى المتلقي، و ما هي إلا نتاج البيئة والزمان الذي يعيش فيه الشاعر، فالشاعر ابن زمانه وبيئته، ومنهما يغترف أفكاره ومعانيه، وينحت صوره .

وبالتالي فإن تفاعل الشاعر مع قضاياه يدفعه دفعًا إلى اختيار صورته، التي تتكون من الألفاظ والتراكيب والمعاني والخيال والموسيقا، وبهذا تكون الصورة من المصطلحات الجمالية الشاملة.

إعداد

الباحثة: حمدة حسين سعيد الزهراني

قسم اللغة العربية _ كلية العلوم والآداب - جامعة الباحة

Research Summary

Sources of image in the poetry of Issa Grappa (analytical study)

This search for the sources of the image when a poet of the Kingdom of Saudi Arabia, was born in the village of Green North, the province of Damad from the region of Jazan south of the Kingdom, began his poetry talent appeared since 1409 AH.

The image is also one of the means by which the poet tries to convey his idea, his vision and his emotions to the recipient, and it is only the product of the environment and time in which the poet lives. The poet is the son of his time and environment.

Thus, the interaction of the poet with his issues drives him to choose his image, which consists of words, structures, meanings, imagination and music, and thus the image is a comprehensive aesthetic terms.

Preparation

Researcher: Hamda Hussein Saeed Al Zahrani

Department of Arabic Language _ Faculty of Science and Arts – University of Baha

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالشاعر:[١]

ولد عيسى بن علي بن محمد جرابا في المملكة العربية السعودية عام ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م في قرية الخضراء الشمالية، التابعة لمحافظة ضمد من منطقة جازان جنوب المملكة، تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الابتدائية في الخضراء الشمالية، ثم التحق بالمعهد العلمي في ضمد، وبعده التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وتخرج منها بدرجة البكالوريوس، عمل مدرسًا في معهد صبياء العلمي، وما زال على رأس عمله.

بدأت موهبته الشعرية بالظهور منذ عام ١٤٠٩هـ؛ حيث بدأ بنظم الشعر، ولكن البداية الحقيقية له كانت في عام ١٤١٣هـ، حين بدأ بنشر أشعاره في صحيفة المسائية، ومنذ ذلك الحين عرفت موهبته وذاع صيته، فقام مجموعة من الكتاب بالكتابة عن شعره، ومن هؤلاء: يحيى بن عبد الله المعلمي، وحسين بن علي محمد، وما زال ينشر أشعاره في العديد من الصحف والمجلات المحلية والعربية، وعلى صفحات الإنترنت.

(١). ينظر: عبد العزيز سعود البابطين، المعجم، http://www.albabtainprize.org، موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، بتصرف، https://ar.wikipedia.org/wikiD8، عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر: تغريدات شعرية، (جدة/ المملكة العربية السعودية: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٣٧ه/ ٢٠١٦م).

البنية التصويرية:

تعد الصورة إحدى الوسائل التي يُحاول من خلالها الشاعر نقل فكرته ورؤيته وعواطفه إلى المتلقي، غير أنَّ هذه الصورة ما هي إلا نتاج البيئة والزمان الذي يعيش فيه الشاعر، فالشاعر ابن زمانه وبيئته، ومنهما يغترف أفكاره ومعانيه، وينحت صوره، فهو لا يستطيع أن يتخلص من مخزونه المعنوي، الذي هو في النهاية حصيلة تجاربه في الحياة، فالذي "يحدث أنَّ الشاعر يستثير هذه المادة في الهيئة التي يختارها، وتعبر عن نفسيته من خلال استدعائها من مخزون ذاكرته، بحيث تشكل في النهاية معادلًا مساوقًا لتجربته الشعرية"(١)، ومن هنا فإنَّ التجربة هي التي تستدعي خواص الصورة للتعبير عنها، ولإثارتها وبيان ما للصورة من اتصال وثيق بموهبة الشاعر وقدرته على النظم، وبالتالي فإن تفاعل الشاعر مع قضاياه يدفعه دفعًا إلى اختيار صورته، التي تتكون من الألفاظ والتراكيب والمعاني والخيال والموسيقا، وبهذا تكون الصورة من المصطلحات الجمالية الشاملة.

وبالنظر في شعر عيسى جرابا تلاحظ الدراسة تعدد مصادر الصورة عنده، غير أنها ستحاول حصرها في المصادر الآتية: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الأدبي، والطبيعة، والمكان، والأحداث السياسية والوطنية.

(١). علي الغريب محمد الشناوي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م)، ٥٩.

أولًا: القرآن الكريم.

يعد القرآن الكريم أحد أهم مصادر الصورة عند عيسى جرابا، ولعل ذلك عائدًا للبيئة الدينية التي نشأ فيها، فأثرت فيه وهذا يدلُ على أن النتاج الأدبي صورة لحياة صاحبه، وسجل له تنطبع آثاره العقائدية الدينية ومظاهرها في فنه بقدر تفاعله مع هذه الحياة؛ ولذلك فمن الطبيعي أن يكون القرآن الكريم من مصادر الصورة عنده، ونستطيع الاستدلال على ارتشاف الشاعر صوره من القرآن الكريم في الكثير من قصائده، ومن ذلك قصيدته في مناجاة الله سبحانه وتعالى، والتي يقول فيها(١):

رَبَّاهُ، مَا ضَاقَتْ بِقَلبي سَاعَةٌ إلا وَذِكْرُكَ في فَمِي جَلَّاهَا!

يبين الشاعر في البيت السابق أنَّ ذكر الله هو السبيل للسعادة والاطمئنان وانشراح الصدر، وهذا يتناسب مع قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"(٢)، ومن هنا نلاحظ أنَّ الآية السابقة هي مصدر فكرة البيت السابق.

ومن ذلك أيضًا قول الشاعر(٣):

غَصَّتِ الشَّامُ بِالدِّمَاءِ...وَأَخْشَى أَنْ نُجَازَى بِهَا ...جَزَاءً وِفَاقًا

يوضح البيت السابق أنَّ الشاعر استمد صورته من القرآن الكريم، فعبارة (جَزَاءً وِفَاقًا) وردت في سورة النبأ، حيث قال الله تعالى: (جَزَاءً

(١). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ١٢.
(٢). سورة الرعد: الآية ٢٨.
(٣). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ٧١.

وفَاقًا)[١]، وتشير هذه الآية إلى العقاب الذي عوقب به الكفار، وقد سحب هذه الصورة على الشام، وخشي أن نعاقب على صمتنا عما يحدث فيها.

ومن الأبيات الشعرية التي تدل على أنَّ القرآن الكريم مثل أهم مصادر الصورة عند عيسى جرابا قوله[٢]:

سُبْحَانَكَ اللهُ ...مَا شَيءٌ يَلُوحُ لَنَا إلا وَفِيهِ دَلِيلٌ ... أَنَّكَ اللهُ!

سُبْحَانَكَ اللهُ لَحنٌ في السَّمَاءِ كَمَا في الأَرْضِ وَالكَونِ أسْمَاعٌ وَأَفْوَاهُ!

يمعن الشاعر في البيتين السابقين بذكر التسبيح، حيث يبدأهما بـ (سُبْحَانَكَ اللهُ)، وهذا مستمد من القرآن الكريم، الذي فيه المسبحات، وهي: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى، وهذه السور كلها تتضمن لفظ التسبيح، ومن ذلك قوله تعالى: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ"[٣].

ومن الشواهد على تأثر الشاعر بالقرآن الكريم قوله[٤]:

فَيَعْقُوبُ ...حِينَ أنْطَفَتْ عَينُهُ مِنَ الحُزنِ قَالَ (فَصَبرٌ جَمِيلٌ)

يقدم الشاعر في البيت السابق حديثًا عن نبي الله يعقوب، وحزنه على فراق ولده سيدنا يوسف عليه السلام وقد استقى هذا التعبير من سورة

(١). سورة النبأ: الآية ٢٦.

(٢). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ١٧.

(٣). سورة الحديد: الآية ١، وينظر: سورة الحشر: الآيتين ٢٣، ٢٤، وسورة الصف: الآية ١، وسورة الجمعة: الآية ١، وسورة التغابن: الآية ١، وسورة الأعلى: الآية ١.

(٤). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ١٨.

يوسف، التي قال الله فيها: "وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"(١)

ويقدم الشاعر بيتًا آخر يتأثر به بالقرآن الكريم، حيث يقول(٢):

حَمَدًا لَـكَ اللَّهُمَّ ...كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ في كُلِّ شَيءٍ ...مَـا لِجودِكَ مِـنْ نَظِيرُ!

يقدم الشاعر في البيت السابق حديثًا عن فضل الحمد، وهو ما يتوافق مع قو الله تعالى: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"(٣).

ومن اللوحات الفنية التي تعد مصدرًا من مصادر الصورة عند عيسى جرابا قوله(٤):

صَلَّى عَلَيكَ اللهُ...يَا نُورًا سَرَى في المشرِقَينِ ...فَفَـرتِ الظُّلُمَاتِ

يَا رَبِّ صَلِّ عَليهِ...مَا دَاعٍ دَعَـا أَمِلًا...فَأَشْـرَقَ بِالبَشَائِرِ دَربُهُ!

لقد أمرنا الحق سبحانه وتعالى بالصلاة على النبي محمـد ـ ﷺ ـ فقال: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْـهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"(٥)، وفي قول الشاعر (صَلَّى عَلَيكَ اللهُ)، و(يَا رَبِّ صَلِّ عَلَيهِ) استجابة لهذا الأمر، تأثرًا بالقرآن الكريم.

(١). سورة يوسف: الآية ١٨.
(٢). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ٢٠.
(٣). سورة النحل: الآية ١٨.
(٤). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ٢٦.
(٥). سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

ويشير الشاعر كذلك لحادثة الإسراء والمعراج، حيث يقول(١):

أَسْرَى بِـــكَ الرَّحمَنُ...حَـــ ـــتَّى نِلْـتَ أَعْظَـمَ مَـــنْزِلَة

وقد استمد البيت السابق من قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْـدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَـهُ مِـنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(٢).

وبالتالي فقد مثل القرآن الكريم أحد أهم مصادر الصورة عند عيسـى جرابا، الذي نظر له على أنه معين لا ينضب، ومصدر متجدد للصور.

ثانياً: السنة النبوية:

مثلت السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني من مصادر الصورة عند عيسى جرابا، حيث استعان الشاعر بها في إنتاج صوره، ومن ذلك قوله(٣):

وَلِـــي حُسْنُ ظَـنٍّ بِرَبِي...فَكَمْ أُنَاجِيـــهِ وَالقَلْبُ في سَجْـدَتِهْ!

لقد استوحى الشاعر البيت السابق من هدي السنة النبوية، فعن أبي هريرة ﷺقال: قال النبي ﷺ، يقول الله تعالى: "أنا عندَ ظن عبدي، بي وأنـا معهُ إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في مـلأٍ ذكرتهُ في ملأٍ خيرٍ منهمْ، وإنْ تقربَ إلي بشبْرٍ تقربتُ إليهِ ذراعاً، وإنْ تقربَ إلي ذراعًا تقربتُ إليْهِ باعًا، وإنْ أتاني يمْشِي أتيتُهُ هرولةً"(٤).

---

(١). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ٣٠.

(٢). سورة الإسراء: الآية ٤.

(٣). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ٢٩.

(٤). أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط١، (دمشق/ بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٢م)، رقم الحديث (٧٤٠٥)، ١٨٢٧.

ومن الصور التي استمدها من السنة النبوية الشريفة قول الشاعر[١]:

مَا حَنِينُ الجِذْعِ أقْوَى مِنْ حَنِينِي ... يَـا حَبِيبًا ذِكْـرُهُ عِطْرُ السِّنِينَ

يتحدث الشاعر في البيت السابق عن حنينه وحبه للنبي، الذي فـاق حنين الجذع الذي كان يتكئ عليه النبي قبل اتخاذ المنبر، فقد ورد أنَّ النبي ﷺكان "يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجـذع، فأتـاه فمسح يده عليه"[٢].

ثالثاً: التراث الأدبي:

يمثل التراث الأدبي المصدر الثالث من مصادر الصورة عند عيسـى جرابا، فقد تمسك شاعرنا بالتراث الأدبي، وحافظ على الشكل الموروث لبناء القصيدة العربية، فالمتلقي لدواوينه يقف عند التزامه بعمود الشعر العربي، بل إنه كان يمدح ويرثي شعراء العربية، الذين يحافظون على النظم العربي وشكل القصيدة؛ لأنه في هذا حفاظ على كيان الأمة واعتزاز بمالها من تميز وأصالة تفردت به، ونستطيع تلمس أثر التراث الأدبي في شعر عيسى جرابا من خلال مجموعة من الأمثلة، من مثل قوله[٣]:

رَأَيْتُ ظَبْيًا كَتِحْيَلَ الطَّرْفِ مُؤْتَلِقًا ... يَفِيْضُ بِالحُسْنِ طَبْعًا لَيْسَ مُفْتَعَلا

رَأَيْتُهَا وَرَأَتْنِي وَالْتَقَتْ يَدَهَـا ... يَدِي وَحُمْرَةُ خَدَّيْهَا بَدَتْ خَجَـلا

تَعَانَقَتْ مُقْلَتَانَا وَابْتَدَتْ قِصَـصٌ ... مِنَ الغَرَامِ تُثِيْرُ السَّهْـلَ وَالجَبَلا

---

(١). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ٢٩.

(٢). أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، رقـم الحـديث (٣٥٨٣)، ٨٨٣.

(٣). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ٣١.

مَا كَـانَ مُبْتَذَلًا حُبِّي لَهَا أَبَدًا بَعْضُ المُحِبِّيْنَ يَبْغِي الحُبَّ مُبْتَذَلا

يقدم الشاعر في الأبيات السابقة غزلًا عفيفًا على طريقة الشعراء العذريين؛ إذ يبدو تأثره بالتراث الأدبي واضحًا، وذلك من خلال تشبيه المحبوبة بالظبية، والتغزل في العينين، واحمرار وجنة المحبوبة، فمن يقرأ الأبيات السابقة يظن أنها من الشعر القديم، حيث اعتماد على ألفاظ مستمدة من التراث الأدبي، وقدم صورة تقليدية للمحبوبة مأخوذة عن القدماء.

ومن الأمثلة على تأثر عيسى جرابا بالتراث الأدبي قوله[١]:

كُلُّ مَا في الكَونِ يَجرِي أو جَـرَى قَـدَرُ اللهِ...فَأهـلًا بِالقَـدَر

حِينَ تَنْهَلُ سَحَـابَاتُ الرِّضَـا تُزْهِـرُ الرُّوحُ.. وَيَخْضَرُ الأثَر!

لَيسَ يَأسًا...لا وَلا ضَعْفًا بُكَـانَا دَمْعُنَـا في أَعْيُنِ البَلوَى دَعَانَا!

يبدو الشاعر في الأبيات السابقة متأثرًا بشاعرية أبي العلاء المعري في لزومياته، حيث اليأس والحزن والبكاء على ما يجري في هذه الحياة الدنيا.

رابعاً: الطبيعة:

تعد الطبيعة من أهم مصادر الصورة عند عيسى جرابا، حيث برز اهتمامه بها من خلال التغني بها والحديث عنها بصورة واضحة تجذب الألباب، وتكشف ما لهذه الطبيعة من جمال حضاري وطبيعي في نهارها وليلها ومروجها وخضرتها، فالشاعر "يستعين على جلاء الصور في الشعر،

(١). المصدر السابق، ١١٧.

بالطبيعة ومناظرها"[١]، والمتذوق لديوان وطني والفجر الباسم يجد أن الطبيعة احتلت مركزًا جيدًا في ترنيمات الشاعر، ومن ذلك قصيدة (عروس الكون) التي تغنى بها بمدينة الرياض، عندما تم اختيارها عاصمة للثقافة عام ٢٠٠٠م يقول الشاعر[٢]:

أنتِ الجمالُ قديمهُ وجديدهُ	والحبُ أنتِ شقيهُ وسعيدهُ
والشعرُ عذبُ الشعر أنتِ	فلم يزلْ يهفو إليكِ حفيفهُ ومديدهُ
والليلُ أنتِ نجيهُ وسميرهُ	والقلبُ أنتِ قريبهُ وبعيدهُ
والروضُ أنتِ زهورهُ وأريجهُ	والجدولُ المنسابُ أنتِ نشيدهُ
والحسنُ أنتِ بهاؤهُ وجلالهُ	وأميرهُ، والبعض فيه عبيدهُ
يَا قِبلةَ العُشَّاقِ، بَينَ جَوانِحي	شَوقٌ يهيجهُ النَّوى وَيَزِيدهُ

يقدم الشاعر في الأبيات السابقة مدحًا لمدينة الرياض، التي تمثل آيات الجمال بليلها ورياضها وزهورها وأريجها وجداولها، فهي الحسن كل الحسن، بل هي قبلة العشاق؛ لما فيها من جمال وحسن، والناظر في العبارات والألفاظ الآتية: (أنتِ الجمال، والحب، الليل أنتِ نجيهُ وسميرهُ، والقلبُ أنتِ، الروض أنتِ، والجدول المنساب، والحسن أنتِ بهاؤه) يلاحظ عشق الشاعر لمدينة الرياض، وما تتمتع به من مظاهر جمال طبيعية، فقد وظف الشاعر الطبيعة في الأبيات السابقة، حيث تحدث عن الليل والروض والزهر والجدول.

---

(١). محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، (بيروت: دار العودة، ١٩٨٧م)، ٣٩٢.

(٢). عيسى جرابا، ديوان وطني والفجر الباسم، مصدر سابق، ١٩.

ويوظف الشاعر الطبيعة أيضًا عندما يتغنى بمدينته الحالمة جـازان، ففيها الخضرة، وأمواج البحر الصافي، والأطيار المغردة، التي تثير البهجـة في نفس المتلقي، يقول(١):

وَافَيتُهَـا وَرَأيتُهَـا وَرَأتـكَ كَالـ ـبَدرِ التَّمَـامِ وَقَلبُهَـا يَتَنَهَدُ
فَـأتَتْ إليكَ شِعَـابُهَا وَجِبَالُهَـا وَسُهُولُهَـا أحْلَى اللُّحُـونِ تُرَدِدُ
وَالبَـحْرُ صَفّـقَ، وَانتَشَتْ أمْوَاجُهُ وَتَرَاقَصَـتْ، وَفَمُ المَشَـاعِرِ يَنْهَدُ
عَبَقٌ سَرَى لمـا تَضَـاحَكَ فَمُهَا رَقَتْ بِهِ النَّـجْوَى، وَهَـامَ الفَرقَدُ
أَنْفَـاسُ كَادِيهَـا تُعَطرُ لَيلَهَـا كَمْ مِنْ حَكَـايَا لِلهَـوى لا تَنْفَدُ!

يظهر من خلال الأبيات السابقة أثر الطبيعة في شعر عيسى جرابـا، الذي يتغنى بمدينته جازان وما فيها من منـاظر طبيعيـة خلابـة حركـت مشاعره، وأذكت قريحته الشعرية، فالصور في الأبيات السابقة كلها مرتبطة بالطبيعية الساكنة والمتحركة، فقد تحدث عن بدر التمام والجبال والسـهول، والبحر بأمواجه المتلاطمة، والعبق الذي سرى، وبالتالي فقد حشد الشـاعر في الأبيات السابقة مجموعة من الصور الشعرية المستمدة مـن الطبيعـة، فبرزت الطبيعة مصدرًا مهمًا من مصادر الصورة عنده.

غير أنَّ بيئة الشاعر التي عاش فيها، وتنعم بمظاهرها، ساعدته فـي الربط بين المعاني الوجدانية ومصادر البيئة التي صور من خلالها معانيـه، فنراه يتحدث عن الليل، والنجوم والبدر، يقول(٢):

(١). المصدر السابق، ٢٧.
(٢). عيسى جرابا، ديوان ويورق الخريف، مصدر سابق، ١٣.

مَنْ يَـذُقْ لَوْعَةَ الهَوَى لَيْسَ يَنْسَـى ... لَوْ غَدَا قَلْبُهُ مِنَ الصَّخْرِ أَقْسَى

يَرْتَـدِي بُرْدَةَ النَّهَـارِ خَلِيًّا ... وَيُجَافِي مَضَـاجِعَ اللَّيْلِ بُؤْسَا

وَيُنَـاجِي النُّـجُوْمَ نَجْمًا فَنَجْمًا ... وَيَرَاهَـا نَوَاطِقًا وَهْيَ خَرْسَا

وَإِذَا البَدْرُ غَـابَ أَطْرَقَ حُـزْنًا ... وَإِذَا مَا بَـدَا تَبَسَّمَ أُنْسَا

ويقدم الشاعر قصيدة أخرى، يستمد صوره فيها من الطبيعية، حيث يقول[1]:

تَعِبْتُ مِنْ تَوَقُّدِ الحُرُوْف ... وَرَكْضِهَا فِي مَهْمَهٍ مَخُوْفِ

تَمُوْجُ بَيْنَ أَضْلُعِي وتَغْلِي ... وَتَسْتَفِزُّ هِمَّةَ الضَّعِيْفِ

تُضَمِّدُ الجِرَاحَ فِي الحَنَايَا ... وَتَرْسُمُ الصَّبَاحَ لِلكَفِيْفِ

وَمِنْ نَدَاهَا تُخْصِبُ الفَيَافِي ... وَتُوْرِقُ الأَغْصَانُ فِي الخَرِيْفِ

لَهَا سَنَا يَكْشِفُ مَا يُوَارَى ... فِي جَوْفِ لَيْلٍ حَالِكٍ كَثِيْفِ

تَعِبْتُ مِنْهَا كُلَّمَا اسْتَثَارَتْ ... كَوَامِنَ التَّلِيْدِ وَالطَّرِيْفِ

وَكَمْ أَقَضَّتْ مَضْجَعِي وَأَذْكَتْ ... لَظَى فُؤَادٍ عَاشِقٍ عَفِيْفِ

أُرِيْدُهَا جَدَاوِلًا وَلَكِنْ ... تَجِيْئُنِي مَوَّارَةَ النَّزِيْفِ

أُرِيْدُهَا مُخْضَرَّةً فَتَأْتِي ... مُحْمَرَّةَ الجِبَاهِ وَالأُنُوْفِ

أُرِيْدُهَا سلوى لكلّ قلبٍ ... فيرتمي منها على وجيفِ

(١). المصدر السابق، ٢٠.

يستعين الشاعر في الأبيات السابقة بمظاهر الطبيعة لتصوير معانيه، فالمتلقي لصور القصيدة السابقة يلاحظ اعتماد الشاعر على الخيال والعاطفة المستمدين من الطبيعة، فالصباح والفيافي، والأغصان، والليل، والغيث، والجداول والخضرة كلها من مظاهر الطبيعة، وكلها شكلت مصدرًا للصورة عنده.

خامساً: المكان:

يعد المكان من أهم العوامل المؤثرة في بناء الصورة، فالمكان يمثل البيئة التي عاش فيها الشاعر، وتنفس من عبيرها، واستطاع تكوين معارفه من خلالها، فمثل المكان أيقونة مهمة في شعر الشاعر، وشكل مصدرًا أساسيًا للصورة عنده، وإذا أردنا أن نتحدث عن المكان كمصدر للصورة عند عيسى جرابا نجد أنفسنا نقف عند حديثه عن مكة المكرمة التي جعلها تعبر عن نفسها، وكأنها ماثلة أمامنا بكل شموخ وفخر يعجز القلم عن وصفه، يقول(١):

أَنَا مَكَةُ مَهْبِطُ الوَحي مِنْ ... قَدِيمِ الزَّمَانِ وَمَهْوَى القُلُوبْ
وَمَبعَثُ خَيرُ الأنَامِ وَقَدْ ... وُقِيتُ مِنَ اللهِ شَرَّ الخُطُوب
وَجَاءَ زَمَانٌ بَرِمْتُ بِهِ ... طَوَى فِيهِ نَبعُ الأمَانِ النَّضُوبِ
وَكَم زَائِرٍ مَاتَ دُونَ المُنَى ... وَكَفَّنَهُ السَّفِيُ بَينَ الدُّرُوب
فَنَادَيتُ يَا رَبِّ حَنِّي هَمِّي ... ضِيَاءٌ يُبَدِدُ لَيلَ الكُرُوبِ
وَأَشرقَ فَجرٌ بَدَتْ شَمسُهُ ... وَلَيسَ لَها في الحياةِ غُرُوبِ

(١). عيسى جرابا، ديوان وطني والفجر الباسم، مصدر سابق، ٣٩.

يقدم الشاعر في الأبيات السابقة حديثًا عن مكة المكرمة، التي جعلها ماثلة أمامنا تحدثنا وكأنها إنسانة حية تتحدث عن مناقبها، وعن دورها في انتشار الإسلام، فهي مهبط الوحي، وهي مهوى القلوب، ومبعث خير الأنام، ومشرق النور والضياء الذي بدد الظلام.

وكما تغنى الشاعر بمكة المكرمة، تغنى أيضًا بالمدينة المنورة، حيث قال(١):

أَنَا المـدِينَةُ لَحْنُ النَّصْرِ يُطْرِبُنِي ... عَبْـــدُ العَزِيزِ بِهِ يَشْدُو وَيَبْتَسِمُ
أَتَى إليّ وَأَشْلَائِي مُبَعْـــــثَرَةٌ ... فَـــلَمَّ شَمْلِي وَالأرزَاءُ تَضْطَـــرِمُ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ في بُؤسٍ وَفي هَلَـــعٍ ... أَزرَى بِي الجَهلُ وَاستَشرَى بِي السَّقَمُ

يتغنى الشاعر في الأبيات السابقة بالمدينة المنورة، التي جعلها أيضًا إنسانة تتحدث عن نفسها، فجعلها لحن النصر، وصور كيف استطاع الرسول ﷺ لَمَّ شمل الأنصار والمهاجرين، وقد كانت قبل هذه النصرة النبوية في بؤس وهلع.

ومن الأماكن التي كانت مصدرًا للصورة عنده أيضًا مدينة الطـــائف، التي يقول فيها(٢):

أَنَا التي سُمِّيتُ بِالـطَّـــــائِفِ ... ذَاتِ الجَمَالِ الـــسَّاحِرِ الوَارِفِ
فَرِيدَةٌ في الحُسْنِ كَمْ عَـــاشِقٍ ... لَوعَةَ عِشقِي وَكَـــــــم عَازِفِ
قَدْ عِشْتُ نَهبَ الجَهلِ فِيمَا مَضَى ... أَمْشِي بِجرحٍ غَـــائِرٍ نَـــازِفِ

(١). المصدر السابق، ٤٠.
(٢). المصدر السابق، ٤١.

وَكُنْتُ مِنْ عَسَفِ الأسَى أرتَدِي ثَوبَ الجَرِيحِ الجَائِعِ الخَائِفِ
وَهَبَّ نَحوِي الصَّقْرُ في مَنْعِـهِ وَهَلْ مِثْلُ المَطَرِ الوَاكِـبِ
وَأَينَعَ الحَقلُ وَأَمْسَيتُ بِـهِ ثِمَارُهُ تَهتِفُ بِالقَـاطِـفِ
وَأَشْرَقَ الفَجْرُ سِنِيّنًا وَكَـمْ غَنَّى لُحُونُ الحُبِّ لِلطَائِفِ

يقدم الشاعر في الأبيات السابقة حديثًا عن مدينة الطائف، تلك المدينة الفريدة بجمالها، فهي تمتلك طبيعة ساحرة، جعلت منها مدينة من أجمل المدن، وقد عرض الشاعر في هذه الأبيات لماضيها القديم، حيث الجهل والأسى والتخلف، ومن ثم تحدث عن التطور الذي حل بها، كيف أنها أصبحت مدينة ذات جمال ساحر.

ويتحدث الشاعر أيضًا عن مدينة حائل، حيث يقول(١):

أَنَا حَائِلُ المَجْدِ وَالسُّؤْدُدِ يَقِينِي بِرَبِّ الوَرَى مَوْرِدِي
تَصَّبَرتُ حِينَ أنَاخَ الرَّدَى عَلَيَّ بِوجهٍ بَغِيضٍ رَدِي
وَعِشْتُ أنَامُ عَلَى أنَّتِي وَأَصْحُوا كَمُضْطَرِبٍ مُجْهَدِ
وَعَانَقَنِي النُّورُ لما سَرَتْ إلَيَّ نُجُومٌ بِهَا أهْتَدِي
وَرَفْرَفَ صَقْرُ الجَزِيرَةِ في سَمَائِي كَأَنَّا عَلَى مَوْعِدِ
فَتُهتُ عَلَى الكَونِ في نَشْوَةٍ وَفَاخَرتُ بِالفَارِسِ الأصْيَدِ

يتغنى الشاعر في الأبيات السابقة بمدينة حائل، تلك المدينة ذات المجد والسؤدد، والتي قبل فتح الملك عبد العزيز لها كانت تنام على أناتها،

(١). المصدر السابق، ٤٢.

ومن ثم حدث الانتقال والتغير في الحال، فبعد تحرير الملك عبد العزيز لها تاهت بالنشوة وفاخرت بفارسها الأصيد، فنالت مكانتها السامقة بين مدن المملكة.

والناظر في دواوين عيسى جرابا يلاحظ أنه تغنى في العديد من مدن المملكة، من مثل: تبوك، والدمام، والظهران، والباحة؛ حيث قدم صورًا فنية عبر من خلالها عن ثبات وصبر وجلد تلك المدن على الخطوب والمحن، وكيف استطاعت بمعاونة الملك عبد العزيز ارتداء أثواب المجد والعزة.

سادساً: الأحداث السياسية والوطنية.

يعد الشاعر صوت الوطن وصدى لما يجري على أرضه من أحداث سياسية ووطنية؛ لذلك عادة ما يعمد الشعراء للتعبير عما يجري في أوطانهم من أحداث ومناسبات بقصائد تخلد لتلك الأحداث والمناسبات، وعيسى جرابا شاعر لبى نداء الوطن، فعبر من خلال شعره عن الأحداث السياسية والوطنية المختلفة، ومن ذلك قوله[١]:

وَطَنِي أُحِبُّكَ...كُلَّمَا أَشْدُوا بِهَا ... يَجْرِي مَعَ اللَّحنِ النَّدِيّ شُغَافُ!
أنى اتَجهْتُ ...فَأنْتَ بَينَ جَوانِحِي ... لِلرُّوحِ مَسْعَى ... لِلفُؤَادِ مَطَافُ!
يَا قِبْلَةَ الكَونِ مَا أسْمَاكِ! كَمْ مُهجٍ ... تَفْدِيكَ... يَسْمُو بِهَا حُبٌ ومُتعقدُ!
لَو أنَّ لِي ألفَ رُوحٍ مَا هفتْ أبدًا ... إلا إليكَ فِدَاكِ الرُّوحُ والجَسدُ!

يستهل الشاعر الأبيات السابقة بإعلان حبه للوطن، فهو يحب وطنه ويشدو به مع كل لحن ندي، فوطنه هو الروح والفؤاد، وهو القبلة التي

(١). عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر، مصدر سابق، ٣٥.

يفديها بروحه وجسده، وهو أغلى وأسمى عنده من الروح، ويسترد الشاعر أنفاسه المشتعلة بحب الوطن، فيقول: إنه لو امتلك ألف روح لما هتف إلا لوطنه.

ومن القصائد التي يتغنى بها في حب الوطن، قوله[١]:

وَلِي وَطَنٌ ... رَضِعتُ هَواهُ طِفْلًا ... فَأزْهَرَ في فُؤَادِي ... بِالوَلَاءِ!

هُوَ الشَّمْسُ التي طَلَعَتْ فَفَاضَتْ ... عَلَى الدُّنيَا... بِأنهَارِ الضِّيَاءِ!

وَطَنُ الخَيرِ وَالهُدَى ...وَالجَمَالِ ... أنْتَ أغْلَى لَدَيَّ ... مِنْ كُلِّ غَالِ

رَبِّ فَاحفَظْهُ قِبْلَةً.... تَتَسَامَى ... وَمَوَاقِيتَ... تَكتَسِي بِالجَلَالِ!

إن المتأمل للوحة الفنية السابقة يقف على مصدر هام من مصادر بناء الصورة عند عيسى جرابا، ألا وهو التغني بالوطن، فقد مثلت الأبيات السابقة لوحة غزلية في الوطن، حيث تغنى بالوطن من زاويتين: الزاوية الأولى: وجدانية؛ تمثلت بالحب والوفاء والانتماء لهذا الوطن، والزاوية الثانية: مادية تمثلت بالفخر به، فقد جعل هذا المكان قبلة للمسلمين جميعًا من مشارق الأرض ومغاربها، وكذلك فقد بيَّن أنَّه رضع هواه طفلًا؛ ولهذا يجب عليه الولاء لهذا الوطن، وهذا الوطن هو شمس، وضياء، وخير، وهدى وجمال، وهو عنده أغلى من كل غالٍ؛ ولهذا فله الإجلال، والتقدير، والتعظيم، وهو الشمس الساطعة ليس للشاعر وحده ولكن للجميع، وفي هذا الجو الذي يعلن فيه الشاعر الولاء والانتماء، ويشدو بمنزلة المكان، تحدث الشاعر أيضًا وتغنى في بأحداث مرت على الوطن العربي، ففي غصن

(١). المصدر السابق، ٣٨.

الجراح تفاعل الشاعر مع الأحداث السياسية المعاصرة، التي حلت بالوطن العربي، والتي أظهرت حدة وعنف الحالة النفسية، التي أبكت الشاعر، وجعلته ينزف من قلبه دماء الألم والحسرة فغرد قائلًا[١]:

غَصَتِ الشَّامُ بِالدِّمَاءِ...وَأَخْشَى ... أنْ نُجَازَى بِهَا ...جَزَاءً وِفَاقًا!
أنَا لا أبْكِي عَلَى غَزّةَ ...كَمْ ... غَزةَ غَارِقَةٍ في دِمَاهَا!
يَمَانِيونَ ... حَتَّى يَسْتَهِلَ ... الفَجْرُ في اليَمَنِ!

يقدم الشاعر في الأبيات السابقة عرضًا لأهم الأحداث الجارية على الساحة العربية، فالشام غصت بالدماء، وغزة غارقة بالدماء، واليمن في محنة عظيمة، وبذلك فقد شكلت الأحداث الجارية في الوطن العربي الكبير مصدرًا مهمًا من مصادر الصورة عند عيسى جرابا، والتي عرج من خلالها على أهم الأحداث الجارية في الوطن العربي، فبكى وتأم لهذا الحال العصيب، الذي تمر به الأمة.

ومن القضايا والأحداث السياسية التي تفاعل معها الشاعر، بغداد العروبة وما يجري فيها، يقول[٢]:

ثُورِي كَمَا شِئْتِ يَا بَغْدَادُ وَاحْتَرِقِي ... لَمْ يَبْقَ فِي العُرْبِ إلا حِسٌّ مُرْتَزِقِ
ثُورِي وَلا تَيْأَسِي إنْ لَمْ تَرَيْ أَحَدًا ... يَمُدُّ نَحْوَكِ كَفَّ الغَوْثِ وَالغَدَقِ
وَجَاهِدِي وَانْفُضِي عَنْ وَجْهِ أُمَّتِنَا ... مَا شَابَهُ مِنْ غُبَارِ الضَّيْمِ وَالفَرَقِ
ثُورِي فَمَازَالَ يَا بَغْدَادُ فِي دَمِنَا ... مَشَاعِرٌ تَرْقُبُ الأَحْدَاثَ فِي حَنَقِ

(١). المصدر السابق، ٧٠ ـــــــــــ ٧٣.
(٢). عيسى جرابا، ديوان ويورق الخريف، مصدر سابق، ٤٠.

لا تَرْكَنِي لِلقَرَارَاتِ الَّتِي كُتِبَـــتْ ... فِي ذِلَّةٍ وَغَدَتْ حِبْراً عَـــلَى وَرَقِ

عَادَ التَّتَارُ جُيُوْشاً غَيْرَ عَابِئَـــةٍ ... إلا بِسَفْكِ دَمِ الأَعْرَافِ وَالعَـــلَقِ

هُوْلاكُهُمْ يَسْتَفِزُّ الكَوْنَ فِي صَـلَفٍ ... بِحِكْمَةٍ مِنْ جُنُوْنِ الطَّيْشِ وَالنَـــزَقِ

حَرْبٌ صَلِيْبِيَّةٌ هَوْجَاءُ رَايَتُهَـــــا ... تَحْرِيْرُ شَعْبٍ مِنَ الإِيْمَانِ وَالخُـلُقِ

يقدم الشاعر في الأبيات السابقة حديثًا عن العراق وما يجري فيهـــا من هجمة شنعاء يقودها الفرس الصفويون، ويتزعمها الغرب الصـــليبيون، وهو في حديثه هذا يربط بين الأحداث الجارية الآن وحروب التتار والمغول والصليبيين على بغداد عاصمة العروبة آنذاك، فهؤلاء الغزاة استحلوا دماء العرب، كما يفعل الغزاة المحدثون، وتحدث كذلك عن هولاكو المسؤول عـــن نزيف الدماء العربية، والذي ساهم في إسدال ليل السواد والظلام على بغداد، وعمل على زرع الألم التشتت والحزن، حتى أصبحت بغـــداد دامســـة فـــي الظلام، محزونة القلب، ينتشر فيها الأسى.

وبذلك فالنص الأدبي بنية حية تقدر بصدقها ووضوح ملامحها التـــي تظهر من خلال مصادر الشاعر التصويرية.

المصادر والمراجع:

١ – القرآن الكريم

٢- عيسى جرابا، ديوان على أغصان تويتر: تغريدات شعرية، (جدة/ المملكة العربية السعودية: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٣٧ه/ ٢٠١٦م).

ديوان وطني والفجر الباسم، (منشورات نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢/٢٠٠٢م)،

٣ – عبد العزيز سعود البابطين، المعجم، http://www.albabtainprize.org، موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، بتصرف، https://ar.wikipedia.org/wikiD8 .

٤- علي الغريب محمد الشناوي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م)

٥- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط١، (دمشق/ بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٢م)، رقم الحديث (٧٤٠٥)

٦- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، (بيروت: دار العودة، ١٩٨٧م)، ٣٩٢.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١	ملخص البحث	٥٠٥
٢	Research Summary	٥٠٦
٣	التعريف بالشاعر	٥٠٧
٤	البنية التصويرية:	٥٠٨
٥	أولًا: القرآن الكريم.	٥٠٩
٦	ثانيًا: السنة النبوية:	٥١٢
٧	ثالثًا: التراث الأدبي:	٥١٣
٨	رابعًا: الطبيعة:	٥١٤
٩	خامسًا: المكان:	٥١٨
١٠	سادسًا: الأحداث السياسية والوطنية.	٥٢١
١١	المصادر والمراجع:	٥٢٥
١٢	فهرس الموضوعات	٥٢٦

بحمد الله تعالى